

# الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المشؤل

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن سنه

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليماً

أرعمونات

يتمفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٩٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

## هذه هي الأغلال

للأستاذ عباس محمود العقاد

السلطون في حاجة إلى جرعات قوية من قبيل هذه الجرعة التي ناولهم إياها صاحب الفضيلة الأستاذ عبد الله على القصيمي في كتابه « هذه هي الأغلال ».

لأن الذين يحجمون عن مساعي الحياة اعتقاداً منهم بتحريمها إنما يخرجهم في هذا الروم عاملان ضروريان ، وهما عظة الحوادث وعظة المرشدين ، وأحق الناس بإسداء هذه العظة إليهم من يصححون لهم الروم بأسناد من الكتاب والسنة النبوية ، ومن يرشدونهم لأنهم متدينون يفهمون الدين على وجهه المستقيم ، لا لأنهم ينكرون الأديان فلا يلتقون بهم في أصل من أصولهم التي يتقبلون منها الحججة والدليل

والكتاب بحق كما وصفه مؤلفه الفاضل « ثورة في فهم العقل والدين والحياة » لأنه يهجم على سلطان غشوم هو سلطان الجهل ، ويمقل حصين هو مقل العادة ، وجحفل مجر هو جحفل الفؤاد وأشياء الفؤاد ، ويرفع السيف والمول بنير رهبة ولا هوادة ، ويمتد سيفاً واحداً وممولا واحداً في هذه الثورة الجريئة ، وهما سيف اليقين ومول البرهان.

فهو يشن الفارة الشعواء على من يقدسون البلاهة ويوجبون على الناس الكسل باسم الانتكال على الله ، ويمرحمون تعليم المرأة وتدريبها على فرائض الأمومة والرعاية الاجتماعية ، ويوهنون ثقة الإنسان بنفسه ، وينكرون الحكمة القديمة والسلم الحديث ، ويزعمون أن الزمن يتأخر ولا يرجح فيه من أبناء اليوم والغد رجاء يضيفونه إلى تراث السلف وما أثر المتقدمين وقد استند في كثير من معارض النقد على آيات من الكتاب وأمثلة من سير الأنبياء ، وأسانيد من المنطق السليم ، ولم يبال بالسمعة الموروثة ولا بالأناصيب المرفوعة ولا بالأكاذيب المتواترة ، فهاجم أناساً يحسبون من الأئمة القديسين عند العامة وأشياء العامة ، وذبح عن فلاسفة غير مسلمين لم يشهدوا عهد الأديان الكتابية. مثل أرسطو وأفلاطون فلما روى هذه الآيات :

من أنت يا أرسطو ومن أفلاط قبلك « يا ميلد » (١)

ما أنتموا إلا الفراش رأى السراج وقد توقد فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

مهد لها قاتلاً إنهم « قالوها في مذمة أولئك الرجال الذين حاولوا في عصور سحيقة أن يضموا اللبنة الأولى في بنية هذه الحضارة ... » . وعقب عليها مستنكراً أن يكون هؤلاء الرجال

(١) وقد رواها الأستاذ « قد تجدد »

الباحثون « حكمهم حينما أرادوا الدنو من المعرفة ومن العلم حكم الفرائس الذي يرى النور التوقد فيذب عليه »

ثم استطرد بمد صفحات فقال : « ومن البلاء حقاً أنهم لم يقصروا عند امتداح الجهالة بل قاموا - ببلاهة كيفية - يمتدحون الجنون والبله والبُله والمجانين ... وهناك قسم كبير من الأولياء كُتبتوا في الطبقات يسمون بالمجازيب أو بالأولياء المجازيب ، وقد أورد الشمراني في كتابه طبقات الأولياء الكبرى أسماء طوائف كثيرة من هؤلاء المجذوبين . وكذلك صنع غيره » أما الفصل الذي تناول فيه موضوع المرأة بمنوان : إنسان هي أم سلمة - فقد قابل به بين أقوال المتطرفين في الحجر عليها وأقوال المتطرفين في تحويلها حقوق العمل والحرية ، ووقف بين الطرفين وسطاً يمدل بين هؤلاء وهؤلاء ، ولكنني أحسبه لو خير بينهما لآثر الإطلاق على التكبير بقيود الحجر والجمود

\*\*\*

ونحن نوافق الأستاذ القصبى على الهدف الذى يرى إليه ، وعلى الآفة التى يشكو منها ، ولكننا نختلفه فى بعض الآراء كما نختلفه فى بعض المبارات ، ولا نخص منها بالذكر هنا إلا جانباً واحداً يلتبس فيه رأى ويبدو فيه الظاهر على وجه غير وجهه الباطن ، أو وجهه الذى نطلع عليه بمد المراجعة والموازنة بين الحقائق المتقابلة . فرب حقيقة تقابلها حقيقة أكبر منها ، ورب ناحية زارها وحدها فإذا هى مستنكرة ، وزارها فى مكانها من مجموعة النواحي المختلفة ، فإذا هى لازمة لا غناء عنها

هذا الجانب الذى نخصه بالذكر فى هذا المقام هو كلام الأستاذ على فلسفة التصوف إذ يقول : « إن وجه الخطأ فى هذه الفلسفة أنهم اعتقدوا أن الروح والجسد عالمان مستقلان متعاديان ، وأن كلا منهما حرب الآخر ، وأن كلا منهما أيضاً إنما ينمو ويزكو على حساب الآخر . فإذا أهين أحدهما وعذب نجا الآخر وترعرع وقام بوظيفته خير قيام ، وإذا أكرم وأريح وأجم أصاب الآخر بالعكس .. وهذه فلسفة عقيمة لا تقف أمام الحقائق . فإن الروح مهما اختلفت فى حقيقتها وفى تفسيرها تزكو وتقوى وتقدر على أداء وظيفتها إذا صح الجسم وقوى واستراح ، وتضعف وتخبو وتمجز عن القيام بعملها إذا مرض الجسم أو تب أو مجز ... وهذه حقيقة هى اليوم فوق مذاهب الشك ، وفى استطاعة الرجل

المادى أن يعلم صدق هذا بالملاحظة والاستقراء .. »

ونحن نقول إن هذه حقيقة لا شك فيها . ولكننا نقول إنها ليست كل الحقيقة ، أو أبيت بالحقيقة التى تستغنى عن الرجوع بها إلى جملة الحقائق فى الملكات الروحية والجسدية .

ولعلنا نستعمل الغاية التى نرى إليها بالإشارة إلى حقيقة أخرى عجيبة لا شك فيها . فإنا نقول مثلاً فى الإنسان الذى يقبل على الجسد وحده فيجعله أصلب من الفولاذ وأقدر على حمل الأثقال وجرحها من الفرس والبعير ؟ أيقال إن هذا الإنسان قد زاد قوة الروح بزيادة قوة الجسد ؟ أيقال إنه مثل محتديه كل إنسان ولا يصيب الأمة نقص فى الملكات إذا اقتدى به كل فرد من أبنائها ؟

لا يقال ذلك ، ولا يقال مع ذلك إنه مثل ضار وخيم العاقبة على أبناء الأمة ، بل يقال إنه لازم ومطلوب ومهقول ، وأن « القصد الحيوى » فى تربية الإنسانية يسمح للرياضة البدنية أن تصطبغ لها أفراداً من هذا الطراز ، ويسمح للرياضة الروحية أن تصطبغ لها أفراداً من طراز آخر ، ولا تسمح لهذه ولا لتلك بتعميم حكمها على جميع الآحاد .

هذا « القصد الحيوى » هو الحقيقة الكبرى التى تقابل تلك الحقيقة البسولة فى كتاب الأستاذ .

فالملكات الإنسانية أكثر وأكبر من أن ينالها إنسان واحد .

ولكنها يبنى أن تنال . فكيف يمكن أن تنال ؟

إنها لا تنال إلا بالتخصص والتوزيع ، ولا يتأتى هذا التخصص أو هذا التوزيع إذا - وينا بينها جميعاً فى التحصيل ، وأزمتنا كل أحد أن تكون له أقساط منها جميعاً على حد سواء . ولا يقتصر القول هنا على الملكات العقلية أو الروحية التى لا يسهل إحصاؤها ولا تحصيلها ، ولكننا نمّ به هذه الملكات ومعها ملكات الحسن والجسد ، وهى محدودة متقاربة فى جميع الناس .

فهذه الملكات الجسدية - فضلاً عن الملكات العقلية والروحية - قابلة للنمو والمضاعفة إلى الحد الذى لا ينحصر لنا على يال ولا نصدقه إلا إذا شهدناه

إذا لنا من يجور على جسده لأنه يضر الناس إذا اقتدوا به  
أجمعين فن واجبنا أن نلوم كل ذي ملكة وكل ذي عمل وكل  
ذو ملكة وكل ذي فن وكل ذي رأى من الآراء... فسا من  
واحد بين هؤلاء إلا وهو يضر الناس إذا اقتدوا به أجمعين .

ومما لا جدال فيه أن نوازع الجسد تحجب الفكر عن  
بعض الحقائق الاجتماعية فضلا عن الحقائق الكونية المصفاة .

ومما لا جدال فيه أن شواغل العيش وهموم الأسرة عائق  
عن بعض مطالب الإصلاح في الحياة اليومية ، فضلا عن الحياة  
الإنسانية الباقية على مر الدهور .

ومما لا جدال فيه أن طالب القوة الروحية كطالب القوة  
البدنية له حق كحق المصارع ، والملاكم ، وحامل الأثقال في  
استكمال ما يشاء من ملكات الإنسان ، ولنا على حق إذا  
أخذنا عليه أنه جار على جسده أو لذات عيشه ، لأننا لا نلوم  
المصارع إذا تقصت فيه ملكة الفن أو ملكة العلم أو ملكة لروح .  
لو أصبح كل الناس مصارعين لفسد كل الناس .

ولكن لا بد من المصارعة مع هذا ، ولا بد من المتفرغين  
لها إذا أردنا لها البقاء .

ولو أصبح الناس كلهم متصوفين معرضين عن شواغل  
الدنيا لفسدت الدنيا وبطل معنى الحياة ومعنى الزهد في الحياة .

ولكن لا بد من هذه النزعة في بعض النفوس ، وإلا قصر  
عن الشا والأعلى في مطالب الروح ، وفقدنا ثمرة « التخصص »  
أو ثمرة « القصد الحيوى » الذى ينظم لنا ثروة الأرواح وثروة  
العقول وثروة الأبدان .

\*\*\*

فنحن لا نفند الحقيقة التى يسطها الأستاذ القسيمي في  
كتابه الجرى على الباطل .

ولكننا نقابل حقيقته بالحقيقة التى توازنها وتنم لها موازينها  
ونقول إن الإفراط فى العناية الروحية كالإفراط فى العناية الجسدية  
يلا إذا عم جميع الناس ، ولكن البلاد الذى هو أعظم منه  
وأقسى على الناس جميعاً أن يبطل فيهم « الاختصاص » ولو كان  
الإفراط من مستلزماته ، لأن « الإنسانية » كلها تستفيد من  
زيادة ملكاتها ، وهى لا تزيد إلا بتقص فى بعض الأحاد المدودين .  
عباسي محور المقار

وقد رأينا ورأى منا ألوف من أبناء هذا البلد رجلاً أكتع  
يستخدم أصابع قدمه فى أشياء يعجز الكثيرون عن صنعها  
بأصابع اليدين : يكتب بها ويشمل عيدان الثقاب ويصنع بها  
القهوة ويصبها فى الأقداح ويشربها ويديرها على الحاضرين ،  
ويسلك الخيط فى سم الإبرة ويخيط الثوب المزق ، ويوشك أن  
يصنع بالقدم كل ما يصنع باليمين أو باليسار .

ورأينا ورأى منا ألوف من هذا البلد لاعبي البليارد فى  
المسابقات العامة يتسلطون العصا ثم لا يتركونها إلا بعد مائة  
وخمسين إصابة أو تزيد ، ولعلمهم لا يتركونها إلا من تعب أو مجاملة  
للأعبين الآخرين ، وهم وجهون بها الأكر إلى حيث يريدون ،  
ويرسلونها بين خطوط مرسومة لا تدخل الأكر فى بعضها ،  
ولا تحسب اللعبة إذا لم تدخل فى بعضها الآخر . بحيث لو قال  
لك قائل إن هؤلاء اللاعبين يجرون الأكر بسلك خفى لجاز لك  
أن تصدق ما يقول .

ورأينا من يقذف بالحربة على مسافات فتقع حيث شاء ،  
ورأينا من ينتظر فى آثار الأقدام فيخرج منها أترأ واحداً  
بين عشرات ولو تعدد وضمه بين الثبات ، ورأينا من يرى  
بالأنشودة فى الجبل الطويل فيطوق بها عنق الانسان أو الحيوان  
على مسافة أمتار .

هذه هى الملكات الجسدية المحدودة ، وهذه هى آماد الكمال  
الذى تبلغ إليه بالتخصص والمرانة والتوزيع .  
فما القول إذا حكمتنا على الناس جميعاً أن يكسبوا أعضاءهم  
ملكة من هذه الملكات ؟

إننا نخطئ بهذا أيما خطأ ونعطلهم به عن العمل المفيد .  
ولكننا نخطئ كذلك كل الخطأ إذا عاقبنا إنساناً لأنه  
أتقن ملكة من هذه الملكات الجسدية ، ولو جار فى نفسه على  
ملكات أخرى يتقنها الآخرون .

فاذا كنا جاوزنا بالقوى الجسدية حدودها المهدودة بالمرانة  
والتخصيص فما الظن بالقوى الروحية أو العقلية وهى لا تتقارب  
فى الناس ولا تعرف الحدود .

وإذا كان طالب القوة الروحية يجور على جسده فلماذا نلومه  
وننحى عليه ونحن لا نماقب اللاعب إذا جار على روحه أو عقله  
فى سبيل إتقان لعبة أو تدريب عضو أو ترقية فراغ ؟